مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية
مجلد 42- العدد 2 (2026): 273-282

Damascus University Journal of arts and humanities sciences Vol 42-No.2 (2026): 273-282

استلهام القصص القرآني في شعر العصر الأيوبي
قصة يوسف عليه السلام نموذجاً

ثامر سيد العاصي[1]*

1- طالب دكتوراه في الدراسات الأدبية، عصر الدول المتتابعة، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق.

الملخّص:

تناول هذا البحثُ دراسةَ استلهام الشعراء في العصر الأيوبي للقصص القرآني، وكان تناول قصة يوسف ﷺ بالدراسة نموذجاً لذلك الاستلهام. وبدأ البحث بتوضيح مفهوم الاستلهام، وهو توظيف واعٍ للموروث، ثم بيّن أهمية استلهامِ الشعراء القصصَ القرآني؛ إذ يقوي معاني قصائدهم في أغراضهم المختلفة كالمدح والغزل، ويبرز معارفهم، واتصالهم بالموروث. وبيّن البحث أهمية استلهام قصة يوسف ﷺ؛ فهي تعبّر عن تجربة إنسانية تتكرر في كل زمن في المجتمعات البشرية التي تتشابه فيها الأحداث والعلاقات بين الناس.

واعتمد البحث في تحليل الأمثلة الشعرية وسائل فنية، هي الرمزُ التراثي، إذ يكون الاسم رمزاً دالّاً على الصفة، والمعادلُ الموضوعي، حين تكون الحالة التاريخية مماثلة للحالة الواقعية، والبناءُ الدرامي، إذ ينسج الشاعر أحداث الواقع بأسلوب وخطوات توافق بناء القصة الموروثة.

وتوصل البحث في نهاية الدراسة إلى نتائج، منها: أن القصص القرآني كان من مصادر الاستلهام عند شعراء العصر الأيوبي، ولا سيما قصة يوسف ﷺ، وأنّ توظيف بعضهم لهذه القصة في شعره جاء تقليدياً موافقاً دلالاتها، في حين نحا بعض الشعراء منحى نقل المعنى في الأصل إلى منعى جديد، كما في غرض الغزل، وأن استلهام الشعراء لم يخل من الإجادة والإبداع كما أنه لم يخل من الرتابة أحياناً. وقد اتّخذ البحثُ المنهج الوصفيَّ والأسلوبَ التّحليليَّ لخوضِ غمارِ هذه الدّراسةِ.

الكلمات المفتاحية: استلهام، القصص القرآني، يوسف، شعر العصر الأيوبي.

تاريخ الإيداع:2025/08/15
تاريخ القبول:2025/09/22

حقوق النشر: جامعة دمشق – سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

Inspiration from Quranic stories in Ayyubid poetry The story of Joseph, peace be upon him, as a model

Thamer Sayed Al-Asi[1*]
1- PhD in Literary Studies, The Era of Successive States, Faculty of Arts and Humanities, Damascus University.

Abstract:

This research deals with the study of the inspiration of poets in the Ayyubid era from the Qur'anic stories, and studying the story of Joseph (peace be upon him) was an example of that inspiration..

The research began by clarifying the concept of inspiration, which is the conscious use of heritage. It then demonstrated the importance of poets' inspiration from Qur'anic stories, as it strengthens the meanings of their poems in their various purposes, such as praise and love poetry, and highlights their knowledge and connection to heritage.

The research demonstrated the importance of drawing inspiration from the story of Joseph, peace be upon him, as it expresses a human experience that is repeated at every age in human societies where events and relationships between people are similar. The research relied on artistic means to analyze poetic examples, namely traditional symbolism, thematic equivalents, and dramatic structure.

At the end of the study, the research reached results, including: that the Qur'anic stories were a source of inspiration for the poets of the Ayyubid era, especially the story of Joseph, peace be upon him, and that the employment of some of them of this story in their poetry was traditional and in accordance with its connotations, while some poets took the approach of transferring the original meaning to a new meaning, as in the purpose of love poetry, and that the poets' inspiration was not without skill and creativity, and it was not without monotony at times. The research adopted the descriptive approach and the analytical method to undertake this study.

Keywords: Inspiration, Quranic Stories, Joseph, Ayyubid Poetry.

Received: 15/08/2025
Accepted: 22/09/2025

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a CC BY- NC-SA

المقدمة:

ذكرَ صاحب اللسان: "وأَلْهَمَه اللَّهُ خَيْراً: لَقَّنَه إِيّاه. واسْتَلْهَمَه إِيّاه: سأَله أَن يُلْهِمَه إِيّاه. والإِلْهَامُ: مَا يُلْقى فِي الرُّوعِ. ويَسْتَلْهِمُ اللَّهَ الرَّشادَ" (ابن منظور، 1414هـ، 555/12، مادة: لهم).

ومعلوم أنَّ من معاني صيغة (استفعل) الطَّلَبَ، فالاستلهام إذن: توظيف واعٍ للموروث، فهو "استيحاء ما هو مخزون ومختمر في نفس الشاعر وذاكرته من معرفة مكتسبة عن الشيء أو الأمر المستلهم... وانبجاس ما تكوّن في الذات الشاعرة من تفاعل بين المخزون المعرفي لدى الشاعر وبين القضايا الحياتية التي يعيشها في واقعه" (منور، 2007، 18).

وقد كان استلهامُ الشعراء القَصصَ القرآني في العصر الأيوبي عن قصدٍ سعياً منهم إلى الإفادة منه في غير جانب.

وقد أتت أخبار الأوّلين في القرآن الكريم لغايات عدّة، فهي وسيلة فعّالة لنقل المعاني الدينية والتربوية، وتقديم العبر والعظات للمسلمين، إضافة إلى إبراز أهمية العقيدة والتربية والدعوة إلى الله. فالقصص القرآني لا يقتصر على سرد الأحداث التاريخية، بل يتجاوز ذلك إلى استخلاص الدروس والعبر التي يمكن تطبيقها في الواقع.

وكان استلهامُ الشعراء القَصصَ القرآني في نسق قصائدهم لتقوية معانيها في أغراضهم المختلفة كالمدح والغزل؛ يسقطون الأحداث المعروفة في القصص القرآني على الواقع الذي يعيشونه، فتتّضح المعاني التي يقصدونها، وتبرز مقدرتهم في التفاعل مع الموروث، والإفادة منه. وقد يكون الاستلهام تقليدياً "يقوم على أساس من المتابعة والتقليد لما في كتب التراث من صفات وملامح ومواقف وأفعال وأقوال وأخبار" (منور، 2007، 437).

وقد يكون الاستلهام نقلاً وانزياحاً بالخبر أو صفة الشخصية إلى معنى جديد يريده الشاعر.

أمَّا وسائلُ الشعراء الفنيةُ في استلهام القصص القرآني فقد لخصها محمد منور في: (منور، 2007، 43).

1- الرمز التراثي.

2- المعادل الموضوعي.

3- البنية الدرامية.

وسيعتمد البحث في الدراسة الفنية هذا التصنيف، وسنعرض في التحليل أمثلةً لهذه الوسائل التي اتبعها الشعراء في العصر الأيوبي في استلهام قصة يوسف عليه السلام.

وتضمّنت قصة النبي يوسف عليه السلام معاني كثيرة، منها:

- جمال يوسف عليه السلام الذي اشتهر به.
- حزن يعقوب عليه السلام على فراق ابنه وجهله بمصيره.
- شوق يعقوب عليه السلام إلى ابنه وبقاء الأمل في قلبه في أن يعود إليه.
- ملك يوسف عليه السلام وبسطُه العدلَ في مصر.

وهي معان إنسانية تتكرر في كل زمن في المجتمعات البشرية التي تتشابه فيها الأحداث والعلاقات بين الناس، وهذا ما جعل قصة يوسف عليه السلام حاضرة في شعر العصر الأيوبي وغيره أيضاً.

وقد اخترنا من شعراء العصر الأيوبي ثلاثةً ليكونوا نماذجَ تمثّل مَن استلهم القصص القرآني في العصر الأيوبي، واقتصرنا على استلهامهم قصةَ يوسف عليه السلام، وهم:

- عرقلة الكلبي من الشام(انظر ترجمته في: الكتبي، 1973، 313/1).

- ابن سناء الملك من مصر (انظر ترجمته في: ابن خلكان، 1990، 61/6).
- سبط بن التعاويذي من العراق (انظر ترجمته في: ابن خلكان، 1990، 466/4).

والغاية من ذلك أن تكون الدراسة شاملة أذواق تلك البلاد غير مكتفية بأحدها؛ فعرقلة الكلبي شاعر شامي عُرف بالفصاحة والظُّرف، وله نوادر رائعة وشعر حلو، وهو صاحب منزلة في شعراء الشام في العهد الأيوبي. وابن سناء الملك ناثر وناظم من كتّاب مصر البارزين، وقد قال فيه العماد الأصفهاني "فوجدته في الذكاء آية، أحرز في صناعة النثر والنظم غاية، يتلقى عرابة العربية له باليمين راية، قد ألحفه الإقبال الفاضلي في الفضل قبولاً، وجعل طين خاطره على الفطنة مجبولاً" (الأصفهاني، 2005، 67/1)، أمّا سبط بن التعاويذي، فهو شاعر العراق في عصره كما رأى ابن خلّكان، إذ قال: "وكان أبو الفتح المذكور شاعر وقته، لم يكن فيه مثله، جمع شعره بين جزالة الألفاظ وعذوبتها ورقة المعاني ودقتها، وهو في غاية الحسن والحلاوة، وفيما أعتقد لم يكن قبله بمائتين سنة من يضاهيه" (ابن خلكان، 1990، 466/4). فهؤلاء الشعراء الثلاثة يمثلون أقرانهم في العصر الأيوبي في الشام ومصر والعراق، ويمكننا أن نطمئن إلى أن استقراء أمثلة من دواوينهم يعطينا صورة لمن خلفهم من الشعراء.

الوسائل الفنية في استلهام الشعراء قصة يوسف ﷺ:

1- الرمز التراثي: استلهام جمال يوسف ﷺ:

ورد في القرآن الكريم ذكر جمال يوسف ﷺ، إذ جاء على لسان النّسوة اللائي رأينه: ﴿... وَقُلْنَ حاشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَراً إِنْ هَذَا إِلاَّ مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ يوسف (31)

قال الشّوكاني في معرض تفسير الآية: "وَإِنَّمَا نَفَيْنَ عَنْهُ الْبَشَرِيَّةَ لِأَنَّهُ قَدْ بَرَزَ فِي صُورَةٍ قَدْ لَبِسَتْ مِنَ الْجَمَالِ الْبَدِيعِ مَا لَمْ يُعْهَدْ عَلَى أَحَدٍ مِنَ الْبَشَرِ، وَلَا أَبْصَرَ الْمُبْصِرُونَ مَا يُقَارِبُهُ فِي جَمِيعِ الصُّوَرِ الْبَشَرِيَّةِ ثُمَّ لَمَّا نَفَيْنَ عَنْهُ الْبَشَرِيَّةَ لِهَذِهِ الْعِلَّةِ أَثْبَتْنَ لَهُ الْمَلَكِيَّةَ وَإِنْ كُنَّ لَا يَعْرِفْنَ الْمَلَائِكَةَ لَكِنَّهُ قَدْ تَقَرَّرَ فِي الطِّبَاعِ أَنَّهُمْ عَلَى شَكْلٍ فَوْقَ شَكْلِ الْبَشَرِ فِي الذَّاتِ وَالصِّفَاتِ" (الشوكاني، 1414هـ، 27/3).

وثبت في صحيح مسلم أنّ النّبيﷺ لمّا أُسريَ به، ووصل إلى السّماء الثّالثة قال: "... فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إِذَا هُوَ قَدِ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ" (النيسابوري، د. ت، 145/1).

ومن صفة الجمال هذه التي بلغت الذّروة في نبي الله يوسف ﷺ استلهم الشّعراء وصفاً للمحبوب، أرادوا به تقرير أعلى درجات الجمال له، فكان اسم يوسف ﷺ علامة دالّة على كمال الحسن. "والجمال اليوسفي كان له صدى واسعٌ في نفوس أرباب الأقلام منذ القدم، فقد أسهم البيان القرآني في ترسيخ فكرة (كملَ الجمالُ بيوسف)" (قباني، 2012، 101).

وإذا ما قرأنا في دواوين شعراء العصر الأيوبي وجدنا هذا الرمز التراثي للجمال (يوسف) بارزاً في قصائد الغزل؛ فها هو عرقلة الكلبي (ت567هـ) يقول متغزّلاً (الكلبي، 1992، 62): (من البحر المتقارب)

حبيبٌ لنا واعدٌ مُخلِفُ	يجورُ علينا وما يُنصِفُ
بكلِّ قباءٍ له صَعدةٌ	وفي كلِّ جفنٍ لهُ مُرهفُ
فيَذهلُ من بأسهِ عنترٌ	ويَخجلُ من حُسنهِ يوسفُ

استلهم الشّاعر صفة الجمال من يوسف ﷺ ضمن سياق غزله الذي أبرز فيه تأثّره بجمال المحبوب، فلجماله سطوة لا يملك الشّاعر دفعاً لها، ولهذا نجده يقرن الجمال في محبوبه بقوّة تأثيره. ومبالغةً منه جعل قوّة تأثير جمال المحبوب أشدّ من بأس عنترة فارس العرب المشهور، كما أنّه جعل حُسن المحبوب أعلى من جمال يوسف ﷺ. وبهذا قلب العلاقة بين المشبّه، وهو المحبوب، والمشبّه به في الأصل، وهو يوسف ﷺ. والمقصود أنَّ المحبوب بلغ غاية في الجمال لم يبلغها بشر كما يرى الشّاعر.

وفي غرض الغزل أيضاً نجد ابن سناء الملك (ت608هـ) يستلهم من صفة الجمال في النّبي يوسف ﷺ ما يبيّن به حاله مع مَن يحبُّ، يقول (ابن سناء الملك، 1986، 417): (من البحر السّريع)

طرفي عن وجهكَ لم يَطرفِ والقلبُ عن حبّكَ لم يُصرفِ
ولي كما شاءَ الهوى صبوةٌ مُسرفةٌ في حُسنكَ المُسرفِ
يا مُخجلاً يوسفَ في حُسنه قُل لي: أما تخجلُ من يوسفِ؟

يُكرّر الشّاعر ما قاله عرقلة الكلبي، وكأنَّ الشّعراء يتداولون مقولة أو مثلاً يضربه عامّة النّاس في زمانهم لمن هو فائق الجمال، فيقولون: "يخجل يوسفُ من حسنه".

إلّا أنّ ابن سناء الملك يترك الباب مفتوحاً لتفسير البيت الأخير؛ فهو يسأل المحبوب: أما تخجل من يوسف؟ فهل قصد بيوسف النّبي الكريم أو أنّه شبّه نفسَهُ بيوسف؟ وهنا أيضاً يقلب الشّاعر التّشبيه؛ فيكون المتأثِّر في الأصل (وهو المحبوب) مؤثِّراً.

2- المعادل الموضوعي:

أ- استلهام حزن يعقوب ﷺ على يوسف ﷺ:

حزنَ يعقوب ﷺ على فراق ابنه يوسف ﷺ، وبدأ حزن الأب من خوفه علي الابن أن يأكله الذّئب. قال الله ﷻ على لسان يعقوب ﷺ: ﴿ قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَنْ تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ غافِلُونَ﴾ يوسف (13)، وقال أيضاً: ﴿وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفى عَلى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْناهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾ يوسف (84)

قال الشّوكاني في تفسير الآية: "قَالَ يَعْقُوبُ هَذِهِ الْمَقَالَةَ لَمَّا بَلَغَ مِنْهُ الْحُزْنُ غَايَةً مُبَالَغَةً بِسَبَبِ فِرَاقِهِ لِيُوسُفَ، وَانْضِمَامِ فِرَاقِهِ لِأَخِيهِ بِنْيَامِينَ، وَبُلُوغِ مَا بَلَغَهُ مِنْ كَوْنِهِ أَسِيرًا عِنْدَ مَلِكِ مِصْرَ، فَتَضَاعَفَتْ أَحْزَانُهُ، وَهَاجَ عَلَيْهِ الْوَجْدُ الْقَدِيمُ" (الشوكاني، 1414هـ، 57/3)

وقد استلهم عرقلة الكلبي من هذا الحزن ما يعبّر به عن حزنه إثر رحيل الأحبّة، فقال (الكلبي، 1992، 8): (من البحر البسيط)

ما في الخيامِ وقد سارتْ حُمولهمُ إلَّا مُحبٌّ لهُ في الظَّعنِ محبوبُ
كأنَّما يوسفٌ في كلِّ راحلةٍ والحَيُّ في كلِّ بيتٍ منهُ يعقوبُ

يعادل الشّاعر في البيت الثاني بين طرفين؛ الأول: يوسف ويعقوب عليهما السّلام، والثاني المحبوب ومَن يحبّه، وقد أعطى لكل عنصر في الطّرفين الصفة التي تناسبه، كما يتّضح في الجدول:

الطرف الأول		الطرف الثاني	
يوسف	يعقوب	المحبوب	مَن يحبّه
صفته الجمال	صفته الحزن	صفته الجمال	صفته الحزن

وقد اكتفى الشاعر بذكر الأسماء للدلالة على ما يتصف به كلٌّ منها، وللإشارة إلى قصتين، الأولى قصة يوسف ﷺ وفراقه لأبيه يعقوب ﷺ، والثانية قصة المحبوب وفراقه لمن يحب. ففي القصة الثانية معادل موضوعي واقعي للقصة الأولى التاريخية. والغاية من ذلك إبرازُ عظيمِ ما فقد المحبُّ (محبوب جماله كجمال يوسف)، وإبرازُ عظيم ما جرى للمحبِّ (حزنٌ كحزن يعقوب).

ب- استلهام شوق يعقوب ﷺ إلى يوسف ﷺ:

أفاد الشاعر سبط ابن التعاويذي من قصة يوسف ﷺ، من شوق الأب إلى ابنه الذي فقده صغيراً، ولكنّ الشاعر نقل معنى الشوق إلى معنى آخر في قصيدة عاتب بها الشاعرُ السلطانَ صلاح الدين الأيوبي على تسويته بغيره من الشعراء في العطاء.

وقد استهلّ القصيدة بالنسيب، ثم مدح السلطان بما يليق به من صفات العدل والقوة، ثم لخّص ذلك في قوله (سبط ابن التعاويذي، 1903، 20): (من البحر المنسرح)

فالنّاسُ ما بينَ آملٍ جَذِلٍ وخائفٍ من سطاهُ مرعوب

وعاد بعد هذا البيت إلى تفصيل صفات الممدوح إلى أن وصل إلى هذين البيتين، فقال (سبط ابن التعاويذي، 1903، 21): (من البحر المنسرح)

رَوَّيتَ آمالنا العِطاشَ بشُؤ بوبِ عطاءٍ في إثرِ شؤبوبِ

وكانَ يا يوسفَ السَّماحِ بنا إلى عطاياكَ شوقُ يعقوبِ

استلهم الشاعر من قصة يوسف عليه السلام سماحه وكرمه، كما استلهم شوق أبيه إليه. لكنَّ الشاعر نقل المعنى – وهو شوق الأب لابنه– إلى شوق الناس إلى عطاء الممدوح. وفي قوله: (يا يوسف السماح) تورية دلّ عليها قوله: (شوق يعقوب)، إذ لولا ذلك لكان نداؤه الممدوح باسمه، فهو يوسف بن أيوب.

ت– استلهام ملك يوسف عليه السلام:

أُكرِمَ يوسفُ بالملك بعدما عاني بعداً عن أهله، وظلماً وسجناً، قال عز وجل: ﴿وَكَذلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْها حَيْثُ يَشاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنا مَنْ نَشاءُ وَلا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾ يوسف(56). وقال على لسان يوسف عليه السلام: ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحادِيثِ فاطِرَ السَّماواتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِماً وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾ يوسف(101).

هذه النّهاية التي أثلجت صدر يوسف عليه السلام كانت مدعاة تفاؤل عند عرقلة الكلبي الذي ربط بين عناصر القصة التاريخية وعناصر الواقع، فاستلهم من الماضي للمستقبل، يقول (الكلبي، 1992، 13):

أقولُ والأتراكُ قد أزمعتْ مصرَ إلى حربِ الأعاريبِ

ربِّ كما مِلَّكتها يوسفَ الصـ صِدِّيقَ من أولادِ يعقوبِ

يملكها في عصرنا يوسفُ الصـ صَادقُ من أولادِ أيُّوبِ

كان هذا الدعاء من الشاعر حين سار أسد الدين شيركوه، وابن أخيه صلاح الدين إلى مصر سنة (562 هـ)، وقد استلهم الكلبي من قصة النبي ما يستشرف به مستقبل ذلك السير، فالأرض التي في قصة النبي هي مصر، وهي البلد الذي سار إليها صلاح الدين وعمّه. والنبي اسمه يوسف، وكذلك اسم صلاح الدين. ولقب النبي الصدّيق، وقد لَقَّبَ الشاعرُ صلاحَ الدين بالصادقِ لما رأت الرعية من صفاته. كلُّ هذا وجده الشاعر فألاً حسناً، فلهج بالدعاء من أجل تمكين صلاح الدين من ملك مصر ليُحييَ الدين فيها، ويقيم العدل كما فعل النبي يوسف.

3–البنية الدرامية: استلهام البشرى بيوسف عليه السلام وإلقاء قميصه على وجه يعقوب عليه السلام:

تروي الآيات الكريمة في سورة يوسف نهاية حزن يعقوب عليه السلام بعدما جاء البشير إليه يخبره الخبر السّارَّ بأنَّ يوسف عليه السلام حيٌّ مُعافى، وقد أصبحَ عزيزَ مصر، ويريد من والده القدوم عليه، وكان القميصُ الذي أرسله مع إخوته آيةَ ذلك.

قال الله عز وجل: ﴿فَلَمَّا أَنْ جاءَ الْبَشِيرُ أَلْقاهُ عَلى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ يوسف (96).

قال الشوكاني في تفسير الآية: "الْبَشِيرُ: هُوَ يَهُوذَا بْنُ يَعْقُوبَ قَالَ لِإِخْوَتِهِ: أَنَا جِئْتُهُ بِالْقَمِيصِ مُلَطَّخًا بِالدَّمِ، فَأَعْطِنِي الْيَوْمَ قَمِيصَكَ لِأُخْبِرَهُ أَنَّكَ حَيٌّ، فَأُفْرِحَهُ كَمَا أَحْزَنْتُهُ. أَلْقَاهُ عَلى وَجْهِهِ: أَيْ أَلْقَى الْبَشِيرُ قَمِيصَ يُوسُفَ عَلَى وَجْهِ يَعْقُوبَ، أَوْ أَلْقَاهُ يَعْقُوبُ عَلَى وَجْهِ نَفْسِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً" (الشوكاني، 1414هـ، 64/3).

معاني هذه الآية الكريمة كانت حاضرة في ذهن ابن سناء الملك حين أراد تهنئة السلطان صلاح الدين الأيوبي الذي بَرِئَ من مرض أصابه، ولا شكَّ أنّ اسم السلطان أسهم في ذلك الاستلهام من قصة يوسفعليه السلام؛ فاسمه يوسف بن أيوب. يقول الشاعر مفتتحاً القصيدة بالنسيب مُورداً كلمةً مفتاحية فيها تلميح إلى مناسبتها (ابن سناء الملك، 1986، 200): (من البحر الكامل)

نظرَ الحبيبُ إليَّ من طَرفٍ خَفي فأتى الشِّفاءُ لمُدنفٍ من مُدنَفِ

ويمضي الشاعر في نسيبه إلى أن يصف جفوة الحبيب وصدّه عنه ليصنعَ من ذلك جسرَ انتقال إلى غرضه الرئيس، وهو التهنئة بشفاء صلاح الدين. يقول (ابن سناء الملك، 1986، 201): (من البحر الكامل)

ماذا لَقيتُ من الصّدودِ لأنَّني ألقى خُشونتَهُ بقلبٍ مُترَفِ
والقلبُ يَحلِفُ أنْ سيسلو ثمّ لا يَسلو ويَحلِفُ أنّهُ لم يَحلِفِ
قسماً أقولُ سَلا وإنَّ سُلُوَّهُ فَرَحٌ لأنْ جاءَ البَشيرُ بيوسفِ
جاءَ البشيرُ بأنَّ يوسفَ قد شَفى مرضَ الزَّمانِ لأنَّ يوسفُ قد شُفي
جاءَ البشيرُ بيوسفٍ يمشي على أثرِ البشيرِ بيوسفٍ أو يقتفي
ما زالتِ البشرى بيوسفَ سُنّةً في الدَّهرِ لم تُخلَفْ ولم تَتَخلَّفِ
كانَ الملطّفُ كالقميصِ ألا ترى أبصارَنا رُدَّتْ لنا بملطّفِ

لقد استعاض الشاعر عن حبِّ مَن نسيه بفرحه ببشرى شفاء السلطان، وكان قبل ذلك عاجزاً عن السّلُوّ. ويأتي الشاعر بصور جزئية ليرسم الصورة الكاملة لبشرى شفاء السلطان في بناء درامي شعري، وهذه الصور:

- في البيت الثالث: (جاء البشير بيوسف): شبه بشرى شفاء صلاح الدين بمجيء البشير بيوسف عليه السلام.
- في البيت الرابع: (يوسف قد شفى مرض الزمان): شبه صلاح الدين بالطبيب الذي شُفيَ الزمان بشفائه.
- في البيت الخامس: (جاء البشير بيوسف يمشي على أثر البشير بيوسف): شبه البشيرَ بشفاء صلاح الدين بالبشير بالنبي يوسف عليه السلام.
- البيت السابع: (الملطّف كالقميص): شبه الملطّف الذي شفى صلاح الدين بقميص يوسف عليه السلام.
- البيت السابع: (أبصارنا رُدّت لنا بملطّف): شبه الناس التي فرحت بشفاء صلاح الدين بيعقوب عليه السلام الذي عاد إليه بصره بعد إلقاء قميص يوسف عليه السلام على وجهه.

ولعلَّ الشاعر "اعتقدَ أنّ الشعر جهد عقلي يصدر عن التفكير الواعي المنظّم، ويقوم على نوع من الحجاج المنطقي، والتوليد الذهني، وما يجرّه هذا كلّه من تفنّنٍ في المعاني، وتلاعب في الألفاظ" (الأهواني، 1986، 7). فهو أفاد من اتفاق اسمي الممدوح والنبي، وكرّر الاسم ستّ مرات تكراراً ربّما أفضى إلى ملل السامع ولا سيّما في البيتين الثالث والرابع. ولا يمكننا إلصاق هذا الأسلوب بابن سناء الملك وحده، فقد كان الاستعراض اللغوي والبديعي فاشياً في عصره.

ومما سبقت دراسته من أمثلة شعرية نجد عرقلة الكلبي يكتفي باستلهام قصة يوسف ﷺ موظّفاً اسمه واسم أبيه للدلالة على أغراضه في الغزل والمدح، ونجد سناء الملك يتناول الرمز التراثي في هذه القصة ليفيد منه في غرض الغزل، ويفيد أيضاً منها في بناء درامي لقصيدة المدح، أما ابن التعاويذي فتوسّل بالرمز التراثي ليوضّح لهفته إلى عطايا ممدوحه.

الخاتمة:

وقد انتهى البحثُ إلى النتائجِ الآتية:

- أفاد الشعراء في العصر الأيوبي من القصص القرآني، وكان مصدراً من مصادر استلهامهم الدينية.
- حضرت قصة النبي يوسف في قصائد الشعراء في أغراضهم الشعرية المتنوعة.
- كانت وسائل الشعراء الفنية في استلهام قصة يوسف: الرمز التراثي – المعادل الموضوعي – البناء الدرامي.
- كان توظيف الشعراء لقصة يوسف تقليدياً تابع فيه الشعراء وقائع القصة ودلالاتها كما هي.
- وكان التوظيف أيضاً بنقل المعنى في الأصل إلى معنى جديد.
- لم يخل استلهام الشعراء من الإجادة والإبداع كما أنه لم يخل من الرتابة أحياناً.

التمويل:

هذا البحث ممول من جامعة دمشق وفق رقم التمويل:(501100020595).

المصادر والمراجع:

- القرآن الكريم
1- الأصفهاني، العماد، (2005)، خريدة القصر وجريدة العصر، قسم شعراء مصر، نشره: أحمد أمين، شوقي ضيف، إحسان عباس، مطبعة دار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، ج1، 393.
3- الأهواني، عبد العزيز، (1986)، ابن سناء الملك، ومشكلة العقم والابتكار في الشعر، ط2، وزارة الثقافة والإعلام، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق، بغداد، 226.
4- ابن التعاويذي، (1903)، ديوان أبي الفتح محمد بن عبيد الله بن عبد الله المعروف بسبط ابن التعاويذي، اعتنى بنسخه وتصحيحه: د. س. مرجليوث، طبع بمطبعة المقتطف بمصر، 490.
5- ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر البرمكي الإربلي، (1990)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج4، 473، ج6، 432.
4- ابن سناء الملك، (1967)، ديوان ابن سناء الملك، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة، المكتبة العربية، القاهرة، 643.
6- الشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله، (1414هـ)، فتح القدير، ط1، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب، دمشق، بيروت، ج3، 594.
7- قباني، وسام، (2012)، تجليات قصة يوسف في الشعر الأندلسي، بين الثابت القرآني والانزياح الشعري، منشورات الهيئة العامة للكتاب، وزارة الثقافة، دمشق، 157.
8- الكتبي، محمد بن شاكر بن أحمد بن عبد الرحمن بن شاكر بن هارون بن شاكر الملقب بصلاح الدين، (1973)، فوات الوفيات، ط1، ت: إحسان عباس، دار صادر، بيروت، ج1، 430.
9- الكلبي، حسان بن نمير، (1992)، ديوان عرقلة الكلبي، ت: أحمد الجندي، دار صادر، بيروت، 136.
10- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل جمال الدين، (1414هـ)، لسان العرب، ط3، دار صادر، بيروت، ج12، 652.
11- منور، محمد بن عبد الله، (2007)، استلهام الشخصيات الإسلامية في الشعر العربي الحديث، ط1، النادي الأدبي بالرياض، 863.
12- النيسابوري، مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري، (د. ت)، المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ت: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ج1، 576.